

الأساليب الإنشائية البلاغية ودلالاتها في ديوان الشيخ المبروك التفوح

د. نجم الدين مفتاح أبوخشم، محاضر بقسم اللغة العربية، كلية التربية مسلاتة، جامعة المرقب، ليبيا

Email: nmaboukhsheem@elmergib.edu.ly

المستخلص:

البحث يتناول الأساليب الإنشائية البلاغية ودلالاتها (دراسة بلاغية تحليلية في ديوان شاعر مسلاتة المبروك محمد التفوح)، الذي أخرجهُ الأستاذ نصر أغا موسى، والذي حوى مجموعة من القصائد متنوعة الأغراض بما يمتلكه الشاعر من حس أدبي بلاغي مرهف، واستعداد فطري رقيق الطبع خفيف الروح يرق أسلوبه، وتسهل وتلين عباراته، والأساليب الإنشائية هي: أساليب الاستفهام، والأمر، والنداء، وبيان خروجها عن معانيها الأصلية إلى معاني بلاغية؛ فكان الهدف منه الاهتمام بدراسة تلك الأساليب عند الشعراء المعاصرين؛ لأن الكثير من شعرائنا لم يحضوا بدراسة أشعارهم لاكتشاف جمالياتها والتغلغل في أعماقها؛ لنبين للقراء ثراء تلك الأساليب واحتوائها على الصور البلاغية المختلفة، والبحث في جماليات البلاغة ومكوناتها في دواوينهم الشعرية؛ لكي تساعد على إثراء المكتبة العربية بعناوين جديدة تخدم البحث؛ لنؤكد اتساع ثقافة شعراء العصر الحديث، وموهبتهم الشعرية واطلاعهم على كثير من الثقافات العالمية، والإنسانية، والوطنية التي أمتاز شعرهم بها، والانحياز للقضايا العربية والإسلامية، والإسهام في نقل الدرس البلاغي من مجاله النظري إلى المجال التطبيقي على النصوص الشعرية المعاصرة.

يوصي الباحث الدارسين والباحثين الاهتمام بدواوين الشعراء المعاصرين، والغوص في معاني أعمالهم وآثارهم الشعرية، وتفسير الظواهر النقدية، واستخراج الصور البلاغية؛ ليستفيد منها طلاب العلم والباحثون.

الكلمات المفتاحية: الأساليب _ الإنشائية _ ديوان _ التفوح.

Abstract:

The study describes the structural rhetorical methods and their implications entitled as an analytical rhetorical study in the collection of Masallata's poet named Al-Mabrouk Mohammed Al-Tafuuh, that was taught by Professor Nasr Agha Musa, which contained a group of poems that deals with various purposes including the poet's rhetorical sense, and an innate preparation for a gentle spirit that refines his style and to ease and soften his expressions. The structural methods classified as; the methods of questioning, commanding, and calling including their deviation from the original meanings into the rhetorical meanings. Furthermore, the research was aimed to pay attention to these methods among modern poets because many of our poets did not study their poetry to discover its aesthetics and reach its depths to show to the readers the richness of these styles and their containment of various rhetorical methods. Also, to discover the aesthetics of rhetoric and its components in their collections of poetry, so it helps to enrich the Arab library with new titles that serve the researchers to confirm the culture of modern-day poets, their poetic talent, and their knowledge of many global and human cultures as well as the nationalism that characterizes their poetry. Moreover, to bias toward Arab and Islamic issues and their contribution to transfer the rhetorical issues from its theoretical to the applied field on contemporary poetic texts.

This study recommends that students and researchers should pay attention to the collections of contemporary poets in order to explore and examine various meanings of their poetic works, discuss critical phenomena, and extract the rhetorical methods for the benefit of students and other researchers.

Keywords: Methods _ structural _ collection_ Taffouh.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل كتابه بأفصح لسان وأقوم بيان، والصلاة والسلام على رسوله محمد معلم البشرية البيان وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يلجأ الكتّاب والشعراء إلى الأساليب الإنشائية في أشعارهم، ونثرهم؛ بهدف استحضار السامع، ولقت انتباهه نحو الفكرة التي يناقشها الكاتب أو الشاعر؛ فيكسب شعره أو نثره نوعاً من التفاعل والمشاركة بين النص والمتلقي، وللبلاغة العربية أثر كبير في المعنى، تركز على مهارة المُلقّي ومدى استطاعته انتقاء الألفاظ والعبارات المعبرة والمُوحية الحية البراقة التي تُضفي على الأسلوب نمطاً مغايراً للتعبير العامة، تعبيراً يوحي على جودة قائله لما فيه من إحياءات ومعاني قوية مؤثرة هادفة، فهي فن وإبداع وجمال غايتها التأثير في الأحاسيس والعواطف الإنسانية، وتحرك المشاعر وتحدث وقعاً قوياً على النفوس البشرية.

فعلم المعاني كفن هو الذي اتخذ النحو منطلقاً لمباحثه في تشخيص العدول فيُعنى كثيراً بالعدول الدلالي، فالاستفهام والأمر والنهي والنداء وغيرها..، أصول تخرج إلى معانٍ مجازية تستفاد من السياق والقرائن أي عدول دلالي، فالاستفهام مثلاً يخرج إلى أغراض مجازية منها: الاستبطاء، والتعجب، والنفي، والتقرير، والإنكار، والتهمك، والتحقير، والتعظيم، وغيرها..، واللغة بأنظمتها المترتبة خير وسائل التعبير عن المعنى، ولاسيما نظام اللغة العربية، وخير دليل على ذلك أنزل الله تعالى كتابه الكريم بها لتأدية معانٍ دقيقة وأسرار إلهية، وإنشاء رسالة خالدة متحركة المعنى مع المتغيرات الزمانية والمكانية فوق الطاقة الاستيعابية للعقل الإنساني في بعض جوانبها، ولا تكفي المعرفة النحوية والبلاغية المعيارية للكشف عن نظام اللغة العربية.

هذه المعاني السامية يؤديها النظام البلاغي "الإبداعي - الأسلوبي" من أنظمة اللغة العربية التي تصدر من أسس وأصول واحدة، ثم يتوسع فيها من خلال حمل الألفاظ والتراكيب والدلالات بعضها على بعض وتعلق بعضها برقاب بعض، وهذا من أهم مظاهر التوسع في المعنى والتصرف بفنون القول.

ودراسة الأساليب الإنشائية من هذا المنطلق يعطي للقارئ المبتدئ والمنتهي جمالاً لو أدرك المعنى المراد، وفهمه فهماً صحيحاً؛ لتجلى به الضباب ووضحت به الصورة؛ لأن المعنى المجازي يطابق مقتضى الحال، فمطابقة حال المتلقي أمر هام في البلاغة العربية، ولما للأساليب الإنشائية من أهمية في الدرس البلاغي فلا يخلو شعراً ولا نثراً من هذه الأساليب، فكان اختياري موضوعاً يتناول دراسة الأساليب الإنشائية في ديوان شاعر مسلاته المبروك النفوح - طيب الله ثراه - من خلال ديوانه الشعري، الذي أخرجته الأستاذ نصر آغا موسى. والذي حوى مجموعة من القصائد متنوعة الأغراض، وقد سميته "الأساليب الإنشائية البلاغية ودلالاتها في ديوان

الشيخ المبروك التفوح دراسة بلاغية تحليلية وصفية"، فكان سبب اختياري لهذا الموضوع راجع لعدة أسباب أهمها:

- الاهتمام بدراسة الأساليب الإنشائية عند الشاعر.

- إظهار الجانب التحليلي للقوائد الشعرية الحديثة؛ كي تساعد على إثراء المكتبة العربية بعناوين جديدة تخدم البجّات.

- البحث في جماليات البلاغة والبحث عن مكنوناتها؛ لتظهر تلك الأساليب للقراء تنوّفاً لمعانيها واستلذاً لجمالها.

هذا وقد اخترت منهجاً وصفياً تحليلياً، وذلك بسرد الأساليب الإنشائية البلاغية، وأسباب خروجها عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى، وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، فإن وفقت فذاك من الله - عز وجل - وإن كان غير ذلك فمن تقصيري ومن وسوسة الشيطان، والله ولي التوفيق.

تمهيد للأساليب الإنشائية وأنواعها:

الإنشاء لغةً: مَصْدَرُ أَنْشَأَ، وهو فِعْلٌ ثَلَاثِيٌّ مَزِيدٌ بِالْهَمْزَةِ، ومعناه: الابداءُ والإيجادُ على غيرِ مِثَالِ (1)، واصطلاحاً: هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق ولا الكذب (2) لذاته، أو هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به فطلب الفعل في أفعال، وطلب الكف بلا، وطلب المحبوب في التمني، وطلب الفهم في الاستفهام، وطلب الاقبال في النداء، كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها. (3)

والإنشاء في حقيقته نوعان: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي.

الإنشاء **الطلبّي**: "هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب" (4)، وأنواعه خمسة: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء، فهذه الأساليب قد طلب بها أمور حاصلة أثناء الطلب، ولهذا كان الإنشاء فيها إنشاء طلبياً. **والإنشاء غير الطلبّي**: "ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب" (5)، ويكون

(1) يُنظر: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبو هلال العسكري. ط2، تح: عزة حسن، دمشق: دار طلاس للدراسات والتوجيه والنشر، ص419.

(2) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح قيود. ط4، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2015، ص351.

(3) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي. تح: محمد التونجي، بيروت: مؤسسة المعارف، (د.ت)، ص84.

(4) البلاغة العربية، عبد الرحمن حسن الميداني الدمشقي. ط1، دمشق: دار القلم، ج1، 1996، ص228.

(5) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل لعلم المعاني، بسيوني عبد الفتاح قيود. ط4، (د.ت)، ص353.

بصيغ المدح والذم، وصيغ العقود والقسم والتعجب والرجاء، ويكون برب و ولعل وكم الخبرية، وهذا الإنشاء لا يبحث عنه علماء البلاغة؛ لأن صيغته في الأصل أخبار نقلت إلى الإنشاء، وإنما المبحوث عنه في علم المعاني هو الإنشاء الطلبي، لما يمتاز به من لطائف بلاغية.⁽¹⁾

المبحث الأول: أسلوب الاستفهام البلاغي:

الاستفهام لغة: طلب الفهم؛ وذلك؛ لأن الهمزة والسين والتاء، إذا زيدت في أول الفعل الثلاثي أفادت معنى الطلب "واستفهم سأله أن يفهمه"⁽²⁾، وفي المعجم الوسيط: "سأله عن كذا، وبكذا، سؤالاً وتسالاً ومسألة استخبره عنه".⁽³⁾

وإصطلاحاً عند علماء البلاغة: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأدوات خاصة⁽⁴⁾، وعرفه السكاكي فقال: "الاستفهام لطلب حصول في الذهن والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، الأول التصديق والثاني التصور"⁽⁵⁾، وأدوات الاستفهام الحقيقية هي:

(الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي)، وتتقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو الهمزة، وما يطلب به التصديق فقط، وهو: هل، وما يطلب به التصور فقط، وهو بقية ألفاظ الاستفهام، والمعاني التي تقيدها هذه الأدوات كثيرة لا يمكن الإحاطة بها، إنما ينكر العلماء منها ما يرشد إلى طريقة تفهمها والوعي بها⁽⁶⁾؛ لأنها تستنبط من سياق الكلام والوقوف على قرائن أحواله.

ومن المعلوم أن الاستفهام في الأصل هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة، ولكن أدوات الاستفهام قد تخرج عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى على سبيل المجاز تفهم من السياق وقرائن الأحوال ومن هذه المعاني الأخرى الزائدة التي تحمل ألفاظها الاستفهام من سياق الكلام النفي والتعجب والسخرية والتهمك

(1) المصدر السابق، ص 85.

(2) لسان العرب، لأبن منظور. ط3، بيروت: دار صادر، مادة "سأل"، ج12، (د.ت)، ص459. والقاموس المحيط، للفيروز آبادي. يعقوب محمد بن مجد الدين. ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001، ص1056.

(3) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون. ط2، بيروت: دار الفكر، (د.ت).

(4) دراسات تصليلية شاملة لبلاغة عبد القاهر الجرجاني، عبد الهادي العدل. بيروت: دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، ص234.

وجواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي. ص95، والبلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين. بيروت: دار المعارف، ص194.

(5) مفتاح العلوم السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب. ضبطه وكتبه همامه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987، ص131.

(6) دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، محمد أبو موسى. ط1، القاهرة: دار المعلم، 1979، ص216.

والتعظيم والتقرير والاستنباط والإنكار فالاستفهام الحقيقي لا يحقق غرضاً بلاغياً، والذي يحقق الغرض البلاغي هو الاستفهام الأدبي المجازي أو المعاني المجازية للاستفهام.

أسلوب الاستفهام البلاغي في الديوان:

تعددت الأساليب البلاغية في ديوان التفوح - رحمه الله - مما يدل على أن للشاعر حس بلاغي مرهف، واستعداد فطري رقيق الطبع خفيف الروح يرق أسلوبه، وتسهل وتلين عباراته، فالعبارة تخرج في نسق جميل يعطي للأسلوب قوة تجعل النص مؤثراً على المتلقي، فالديوان مليء بالأساليب البلاغية وبخاصة أسلوب الاستفهام، مما يدل على كثرة استفهام الشاعر عما يجول بخاطره، أو ما خطر بباله، وفي بحثي هذا اقتبس ما جادت به قريحته من أبيات شعرية موحية معبرة يغلفها الاستفهام المجازي، وتحمل في طياتها معاني وإيحاءات رائعة، ومن ألفاظ الاستفهام التي خرجت عن معناها الأصلي - وهي طلب العلم بمجهول - فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته، "المعاني المجازية للاستفهام".

الأغراض البلاغية لأسلوب الاستفهام:

أولاً- النفي: وذلك عندما تجيء لفظة الاستفهام للنفي لا لطلب العلم بشيء كان مجهولاً⁽¹⁾، نحو قول البحترى:

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا عَفْرَةٌ وَأَنْجِلَاؤُهَا وَشَيْكًا وَإِلَّا ضَيْقَةٌ وَأَنْفِرَاؤُهَا⁽²⁾

فالشاعر أراد بالاستفهام أن يحدث المخاطب على النظر والتأمل حتى يدرك هذه الحقيقة الواقعة ويعيها فكره، تلك حقيقة يدركها كل عاقل، ولكن الشاعر فرق بين الدلالة عليها بالاستفهام والدلالة عليها بطريق النفي المعهود، إن في الاستفهام تحريكا للفكر، وتنبيها للعقل وحثاً على النظر والتأمل، فخرج به عن العلم به إلى نفيه. ومن أمثله قول الشاعر من بحر الوافر:

فَهَلِ بَعْدَ الْعِرَاقِ يَكُونُ أَمْنًا وَيَهْنَأُ بِالْمَفْرُوقِ الْوَرِاقِ
مَعَاذَ اللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ عُهْدٌ وَلَيْسَ لَكُمْ سِوَى دَرْعِ الشَّقَاقِ⁽³⁾

الشاعر ينفي أن يعود الأمن والأمان لبلد العراق بعدما استباح العدو أرضه وسفك دماء أبنائه، فقد خرج الشاعر عن الاستفهام الحقيقي إلى المجاز القصد منه النفي.

ومنه قول الشاعر من بحر الكامل:

(1) علم المعاني، عبد العزيز عتيق. القاهرة: دار الآفاق العربية، (د.ت)، ص81.
(2) ديوان البحترى، شرح: يوسف الشيخ محمد. لبنان: دار الكتب العلمية، 1987، ص140. وعلم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح قيود. ص406.
(3) ديوان المبروك محمد التفوح. تح: نصر مفتاح آغا موسى، طرابلس: دار الحكمة، من قصيدة: مأساة العراق، ص28.

لا أدري بعد الهدم أين مصيرنا وظروفنا تدعو إلى التفكير⁽¹⁾

الاستفهام هنا بمعنى النفي حيث ينفي الشاعر أي علم له بمصيره ومصير عائلته بعد هدم بيته وبقائه لا مكان له، مما يدعو إلى التفكير بسبب الظروف التي يمر بها، فالأسلوب في ظاهره أسلوب استفهام، ولكن الغرض من النفي، فخرج عن معناه الأصلي إلى معنى النفي. ومنه قول الشاعر في رثاء صدام حسين من البحر الكامل:

مَنْ قَالَ إِنَّ الْغَرْبَ يَأْتِي قَصْدًا أَرْضَ الْعَرُوبَةِ خَالِصَ السَّرَاءِ
مَنْ قَالَ إِنَّ الْمَاءَ يُسَكَّرُ عَاقِلًا وَالْعَلْجُ يَحْفَظُ صُورَةَ الْعِذْرَاءِ
مَنْ قَالَ إِنَّ الظَّمَّ يَرْفَعُ هَامَةً وَيُجْرُ فِي الْأَصْفَادِ كُلِّ فِدَائِي⁽²⁾

يستهنج الشاعر ويسخر من العقول التي تظن أن الغرب يأتي للمسرة والسراء، وإنه من أجل رقي الشعوب وعزتها، وما فعله بالعراق وأهله خير دليل، فجاء الاستفهام هنا بمعنى النفي والتعجب والسخرية.

ومنه قول الشاعر من البحر الوافر:

أَنْثَرَا كَانَ أَمْ شِعْرَا رَكِيكًا مَعَادَ اللَّهِ مِنْ هَذَا وَهَذَا
فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَشْعَارِ بَحْرٌ وَلَا فِي النَّثْرِ تَلْقَى لَهُ اسْتِنَادًا⁽³⁾

يتهمك الشاعر عما يكتب فوق رسائل الأفراح من كلام مهوم لا يفهم فيرجع وينفي عنه أن يكون شعرا أو نثرا، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى النفي.

ثانياً التعجب: العُجْبُ والعَجَبُ: إنكار ما يرد عليك لقلته اعتياده⁽⁴⁾، وتعجبت منه، واستعجبت منه كعجبت منه⁽⁵⁾، وهو انفعال النفس عما خفي سببه⁽⁶⁾، قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التعجب.

منه قول المتنبي:

خَلِيلِي إِيَّيْ لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدِ⁽⁷⁾

(1) الديوان، ص40.

(2) الديوان من قصيدة في رثاء صدام حسين، ص53.

(3) الديوان من قصيدة "تهكم على ما يكتب فوق رسائل الأفراح"، ص37.

(4) لسان العرب، لأبن منظور، ج2. ص137.

(5) القاموس المحيط، لفيروز آبادي. ص117.

(6) التعريفات الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء. لبنان: دار الكتب العلمية،

1983، ص62.

(7) ينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي، شرحه: أبي البقاء العكبري، تح: كمال طالب. ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، ج1، ص180.

يقول: خليلي إني لا أرى إلا من يدعي الشعر، ويتعاطى قوله، ويتسمى به ويحاول نظمه، فما بالهم لا يحصلون من ذلك إلا على دعاوى كاذبة، وأقوال متخرصة، وأنفرد دونهم بالقصائد فأبدعها، وبالنوادير فأخترعها، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التعجب.

ومنه قول الشاعر من البحر البسيط:

بِاسْمِ السَّلَامِ وَلِلشُّعُوبِ تُمْرِقُ
مِلْجَمًا وَلِسَانُ حَالِ دُعَاتِهِ لَا يَنْطِقُ⁽¹⁾

مَاذَا أَقُولُ لَطْعَمَةٍ تَتَشَدَّقُ
وَالْحَقُّ يَبْقَى فِي الصُّدُورِ

فالغرض من هذا الاستفهام التعجب؛ لأن الشاعر يرى في قول هؤلاء كذب وافتراء، فتعجب لكذبهم وافتراءهم على الشعوب بالسلام وهي: تمزقهم وتشتت شملهم وتحيلهم إلى ضعف بعد قوة، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التعجب.

ومن التعجب قوله من بحر الوافر:

وَقَدْ زَادَتْ عِدَادَ الْعَانِسَاتِ
هَذَا لِيَأْتِي طَارِقٌ قَبْلَ الْفَوَاتِ⁽²⁾

أَلَمْ تَعْلَمْ أَخِي فَالْوَقْتُ يَمْضِي
دَعْتَهُنَّ الظُّرُوفُ لِمِثْلِ

يرد الشاعر على صديق ساءه ما رأى من تبرج بعض النساء في تعجب عن حال البنات، وكثرة العانسات فيهن والوقت يمضي بسرعة ولم يكن هناك مهتم بامرهن ونصحهن، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي الطلبي إلى التعجب والسخرية والتوبيخ.

ومن التعجب أيضا قوله من مجزوء الرجز "تساؤل عن العروبة":

مَاذَا دَهَاكُمْ يَا عَرَبُ
تَسْتَسْلِمُونَ بِلا سَبَبٍ⁽³⁾

فالشاعر يتعجب من خذلان العرب واستسلامهم لعدوهم بدون سبب، يتنازلون عن قضاياهم وأمتهم؛ كأن مصيبة حلت بهم فهم لا يدركون ما يفعلون، فالاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى معنى التعجب والاستغراب، والمتعجب منه في الحقيقة هو استسلام العرب وخنوعهم لعدوهم بلا أسباب ترض عليهم ذلك.

ومن التعجب قوله من بحر الرجز:

أَيْنَ المُرُوءَةِ فِيكُمْ
أَيْنَ الشُّجَاعَةِ وَالْعَصَبِ⁽⁴⁾

يتعجب الشاعر من حال العروبة وما آل إليه من التأخر وفقدان صفة الشجاعة، والرجولة والغيرة، فخرج الاستفهام

(1) الديوان من قصيدة "هم العرب"، ص 13.

(2) الديوان، ص 30.

(3) الديوان، ص 21.

(4) الديوان، ص 21.

عن معناه الأصلي إلى التعجب والسخرية والتهكم.

ومن التعجب قوله من بحر الرجز:

مَاذَا دَهَأَكُمْ يَا بَقِيَّةَ يَعْزِبِ لَا تَدْفَعُونَ تَظْلُمَ الْعُدْوَانِ (1)

التعجب هنا من الغدر والخيانة والجبن، فخاطب الشاعر العرب مستكراً جبنهم وتقاعسهم وعدم ردهم للظلم والعدوان الواقع عليهم وعلى مقدساتهم. فخرج الاستفهام من الطلب إلى التعجب.

ومن التعجب قوله من مجزوء الرمل المحذوف الضرب: "صراخ وتأوه لحال العروبة".

أَيْنَ أَنْتُمْ يَا عَرَبِ أَخْبِرُونَا مَا السَّبَبُ؟ (2)

صراخ وتأوه لحال العروبة يتعجب الشاعر من الحال الذي وصل إليه العرب، وغيابهم بدون أسباب تجعلهم يطالبون ويستردون حقوقهم، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التعجب.

ومنه قول الشاعر من البحر الوافر:

فَأَيْنَ تَرَاتِنَا مِنْ شِعْرِ عَمْرٍو وَطَرْفَةَ وَالْأَمِيرِ مَعَ لَبِيدِ (3)

يفتخر الشاعر بشعر عمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد وأمير الشعراء ولبيد بن ربيعة وهم من شعراء العرب الذي ضاع فهو من التراث الذي يفخر به العرب، فخرج استفهامه إلى التعجب مما فُرت فيه من تراثنا الذي اشتهر به العرب منذ الجاهلية.

ثالثاً. التعظيم: وهو ضد التحقير، أي إظهار عَظَمَة ورفعة شأن ما دخله الاستفهام (4) والدلالة على ما يتطلى به المسؤول من صفات حميدة كالشجاعة والكرم والسيادة والملك وما أشبه ذلك، ومن الاستفهام الذي يخرج للتعظيم قول الشاعر فخرا بالمعلم والدفاع عنه من البحر الوافر:

فَكَيْفَ بِهِ وَكُلِّ النَّاسِ تَسْعَى لِكَسْبِ الْعَيْشِ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ

أَبْقَى قَابِعَا فِي قَعْرِ صَفِ وَبَعْضُ النَّاسِ تَنَعَّمَ بِالنِّثَاءِ (5)

يفتخر الشاعر بالمعلم ودوره في العملية التعليمية وصبره في تأدية رسالته ببقائه في الفصل الدراسي، بينما غيره من العامة ينعم بالنثاء، تعظيماً لدور المعلم فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى الفخر والتعظيم لا لطلب شيء كان مجهولاً.

(1) الديوان من قصيدة "غدر وخيانة وجبن"، ص 23.

(2) الديوان، ص 22.

(3) الديوان، ص 42.

(4) مفتاح العلوم، للسكاكي، ص 307.

(5) الديوان، من قصيدة "فخر بالمعلم ودفاع عنه"، ص 67.

رابعًا. التهكم والسخرية والاستهزاء والتقريع: ويُقصد بذلك إظهار عدم المبالاة بالمستهزئ أو المتهكم به ولو كان عظيم⁽¹⁾، ومن الاستفهام الذي خرج إلى التهكم والسخرية قول الشاعر من بحر الوافر:

دَخَلْنَا مَطْعَمَ الْمَنْصُورِ لَمَّا
فَجَاءُواَنَا بِمَشْوِيٍّ رَهِيْفٍ
لَوَانَا الْجُوعَ وَأَتْتَصَفَ النَّهَارُ
فَلَا أُدْرِي أَعِجَلُ أَمْ حَمَارُ⁽²⁾

فقد ساق الشاعر كلامه متجاهلاً نوع اللحم الذي قدم له مبالغة في دمه متهماً ساخرًا مما قدم له فخرج استفهامه عن معناه الأصلي إلى التهكم والسخرية.

ومن التهكم والسخرية قوله من بحر الوافر:

فَكَيْفَ بِكُمْ وَبَيْتِ الْقُدْسِ
عَدُو اللَّهِ شَارُونَ تَمَادِي
يَبْكِي يُدْنِسُهُ الْقَذَى ذَاكَ الْبَلِيدُ
وَلَمْ يَعْأَبْ بِكُمْ وَهُوَ الْعَنِيدُ⁽³⁾

يتهكم الشاعر من حال العرب وفرقتهم وعدم نصرتهم لأول القبليتين وثالث الحرمين الشريفين، وهو يدنس النذل الصهيوني، فعبر بكلمة البكاء على سبيل الاستعارة الاستهامية، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التهكم والسخرية.

ومن خروج الاستفهام عن معناها الأصلي إلى الهجاء والعتاب قوله: في هجاء ولوم وعتاب في من كانوا أصدقاءه وتجاهلوه بعدما أهمتهم المناصب.

وهو قوله من بحر مجزوء الرمل محذوف الضرب:

هَلْ عَسَانِي هَامِشًا
أَمْ عَجُوزًا فَانِيًا
فِي كِتَابٍ مَنْدَثِرٍ
فَاتَهُ مَرُّ الْعَمْرِ⁽⁴⁾

يستهجن الشاعر يلوم ويعاتب أصدقاءه بتجاهلهم له وتهميشهم له، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى العتاب والتوبيخ والتقريع.

ومنه قوله فيمن تجرأ على شرع الله عز وجل من البحر الكامل:

هَلْ كُنْتُ تَدْرِي حِينَ قُلْتُ تَفَاهَةً
أَمْ كُنْتُ فِي غَيْبِوْبَةٍ أَمْ تَحْلُمُ⁽⁵⁾

الشاعر يهجو ويذم من تجرأ على شرع الله بالقول ووصفه بالجاهل الذي لا يفهم، فالشاعر لا يسأل، وإنما أراد

(1) ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي. إيران: أدب الحوزة، ج2، ص304.

(2) الديوان، ص33.

(3) الديوان، ص18.

(4) الديوان، ص79.

(5) الديوان، ص80.

أن ينتصر لشرع الله بالرد على من تناول على شرع الله، فالاستفهام خرج عن معناه إلى التوبيخ والتقريع. وقوله من البحر الكامل:

فإلى متى نبقى نعيش على الردى
في كثرة مهزومة يرثى لها
متخاذلين وعيّرنا يختال
منا الكلام ومنهم الأفعال⁽¹⁾

فالشاعر يلوم مخاطبيه على تماديهم في التخاذل والاستمرار في عيش على الردى في الوقت الذي غيرنا يختال بالعيش الرغيد، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التوبيخ والتقريع.

خامساً- التحسر:

ومن التحسر قوله من بحر الوافر:

فمن منا وقد صرنا غنّاء
بلينا بالنفاق بكل معنى
يصد الشر عن شعب العراق
وأي مصيبة بعد النفاق⁽²⁾

فالشاعر يتحسر عن حال العرب رغم كثرتهم وعتادهم وجيوشهم ولكنهم غنّاء كغنّاء السيل، لم يصدوا الشر عن شعب العراق الذي تعرض للعدوان، فخرج الاستفهام من الطلب إلى التحسر.

وفي البيت إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله سائل ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غنّاء كغنّاء السيل⁽³⁾.

ومنه قول الشاعر من البحر الوافر:

فما يجدي النكباء إذا بكينا
على أطلال لنا في الغابرين⁽⁴⁾

الشاعر يتحسر عن ضياع أمجاد الأمة وتضحيات رجالها من أجل قضاياهم بسبب الخلاف الذي ذب فيهم متحسرا على ضياع العقل والدين الذي بسببهما ضاعت الحقوق والمكتسبات، فخرج الاستفهام عن الطلب إلى التحسر.

وقوله من البحر الوافر:

فأين العقل إن كنتم رجالاً
وأين الدين يا أهل الكتاب⁽⁵⁾

(1) الديوان، ص15.

(2) الديوان، من قصيدة مأساة العراق، ص28.

(3) الحديث، أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام، برقم (4297)، سنن أبو داود، ج2، ص111.

(4) الديوان، ص32.

(5) الديوان، ص36.

الشاعر يعاتب الآباء على تركهم الأمر للشباب، والرأي يحتاج لعقل مجرب للحياة، والرأي والحكمة لا يملكها إلا من جرب الحياة وخاضها، فهو يعاتب الرجال وأهل الكتاب على عدم اهتمامهم ويتحسر على عدم المبالاة منهم، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التحسر.

ومنه قوله من بحر الكامل:

ما حيلتي والنُّبْدُ فَرَقَ بَيْنَنَا وَفِرَاقُ مَنْ أَهْوَى كَطَعْمِ الْعَلْقَمِ⁽¹⁾

يتحسر الشاعر عن بعد الحبيب والفرق الذي حل بينهم، فكان طعمه علقم بمرارته وألمه فخرج استفهامه إلى التحسر.

سادساً- الاستبطاء لغة: بظاً والباء والطاء والهمزة أصل واحد؛ وهو البظء في الأمر، أبظا إبظا وبظا، ورجل بظيء، وقوم بظاً⁽²⁾، واصطلاحاً: هو عد الشيء بطيئاً في زمن انتظاره، وقد يكون محبوباً منتظراً⁽³⁾، ولهذا يخرج الاستفهام فيه عن معناه الأصلي للدلالة على بعد زمن السؤال، وهذا البعد يستلزم الاستبطاء⁽⁴⁾، ومنه قول المتنبي:

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النِّجْمَ فِي الظُّلْمِ وَمَا سُرَّاهُ عَلَى خُفِّ وَلَا قَدَمِ⁽⁵⁾

المتنبي لا يسأل عن الزمان، لكنه يستبطئ مجيء هذا اليوم الذي يصل فيه إلى هدفه ويحقق بغيته⁽⁶⁾، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى الاستبطاء

ومنه قول الشاعر من البحر البسيط:

أَيْنَ الشُّهَامَةُ وَالكَرَامَةُ وَالنَّدَى أَيْنَ الْجَبُوشُ النَّجْبُ أَيْنَ الْفَيْلِقُ⁽⁷⁾

استبطاء الشاعر الشهامة والكرامة والندى الذي يتصف بها العرب والجيوش العربية الأبية والفيلق التي تهب لنصرة العراق الذي يتعرض لهجمة شرسة من العدو، والسر البلاغي وراء هذا التعبير عن هذا المعنى هو معنى الاستبطاء بأسلوب الاستفهام إبراز التخاذل والسلبية اتجاه قضايا الأمة، فخرج الاستفهام إلى الاستبطاء، ومن قوله من بحر الكامل:

(1) الديوان، من قصيدة "إني بحبك مغرم" ص55.

(2) مقاييس اللغة، لابن فارس، ج1، ص260.

(3) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص86.

(4) المصدر نفسه، ص97.

(5) ديوان المتنبي، مج1، ص1330.

(6) علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح قيود، ص397.

(7) الديوان، ص13.

فإلى متى نعيشُ على الردى متخاذلين وعَيْرنا يخال⁽¹⁾

فيكون معنى الاستفهام هنا الاستبطاء وهنا الشاعر ينتظر الفرج والثورة على الظلم وعلى العيش الردي، فاستبطاء الشاعر لعدم وجود الجدية والرغبة بسبب التخاذل.

سابعًا- التقرير لغة: قرر والإقرار والاعتراف بالشيء⁽²⁾، والإذعان للحق، وقد قرره عليه⁽³⁾. واصطلاحًا: وهو "حمل المخاطب على الإقرار" والاعتراف بأمر قد استقر عنده بأسلوب استفهامي؛ ذلك لأنه أوقع في النفس وأدل على الإلزام⁽⁴⁾، وربما يعرفه إثباتًا أو نفيًا لغرض من الأغراض على أن يكون المقرر به تالياً لهزمة الاستفهام⁽⁵⁾ فتقول: أفعلت؟ ويرتبط التقرير كغرض يخرج إليه الاستفهام من طبيعة الاستفهام نفسه؛ كونه: لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن؛ إما أن يكون حكماً بشيء أو لا يكون⁽⁶⁾.

كقول جرير في مدح بني أمية:

أَسْتَمُّ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ⁽⁷⁾

فهو تحقيق وإثبات لكرمهم وشجاعتهم وقد صاغه في صيغة استفهام ليرشد وينبه إلى فضلهم وسبقهم إلى العلا⁽⁸⁾، لم يرد أن يستفهم عن حال ممدوحيه، فهو عالم بهم، إنما أراد القرار بأنهم خير الناس شجاعة وكرماً، فكان خروج الاستفهام إلى معنى التقرير.

ومنه قول الشاعر من بحر الوافر:

أَسْتَمُّ أُمَّةً يَدْعُونَ عَرَبًا وَتَعْتَزُونَ بِالْمَاضِي التَّلِيدِ⁽⁹⁾

الخطاب موجه لأمة العرب يذكرهم بأمجادهم التي سطرها الآباء والأجداد والتي أمست من الماضي التليد المجيد لهذه الأمة، والغرض من الاستفهام التقرير إثبات النفي من باب الدعوة إلى الوحدة ورص الصف والعودة لذلك الماضي، على وجه الاستفهام التقريري الذي خرج فيه الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى التقرير.

ومنه قول الشاعر من بحر الوافر:

(1) الديوان، ص15.

(2) جمهرة اللغة، لأبن دريد أبوبكر محمد بن الحسن الأزدي، تح: رمزي منير. ط1، بيروت: دار العلم للملايين، ج1، 1987، ص125.

(3) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص429.

(4) الانتان في علوم القرآن، للسيوطي. عصام الجرستاني، ص79.

(5) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص84.

(6) مفتاح العلوم، للسكاكي، ج1، ص303.

(7) ديوان جرير، من قصيدة مديح عبد الملك بن مروان، شرحه: حمدو طماس، بيروت: دار المعرفة، 2003، ص98.

(8) علم المعاني، بسيوني، عبد الفتاح قيود، ص402.

(9) الديوان، ص17.

أَلَيْسَتْ سَوَاءَ كَانَتْ عَلَيْنَا نَنْبَأُ بِهَا كَدَاءٍ لَيْسَ خَافٍ⁽¹⁾

يذكر الشاعر الشعب بيوم الجلاء وما كان قبله من أنين ووجع كان الشعب فيه أن تلك الأيام كان فيها الشعب يئن تحت وطأة الاستعمار وهو داء ظاهر أمام الكل. فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى التقرير. ومن قوله من بحر الوافر:

أَلَسْتُمْ أُمَّةَ الْقُرْآنِ حَقًّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَكْفِي انْتِبَاهًا⁽²⁾

يدعو الشاعر إلى تدبر آيات القرآن وأخذ العظة والعبرة من قصصه وآياته لما فيها من صلاح للناس وهداية لهم، فخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التقرير وهو الدعوة إلى العدة والقوة والأخذ بالأسباب التي ينهنا عليها القرآن الكريم أثناء الحرب. ومن التقرير قوله من بحر المتقارب:

أَلَا أَيُّهَا الْعَرَبُ يَا أُمَّتِي أَلَسْتُمْ سَلَالَةَ أَهْلِ الْقِيَمِ
أَتَرْضُونَ بِالذَّلِّ فِي أَرْضِكُمْ وَتَرْضُونَ بِالْعَارِ بَيْنَ الْأُمَمِ⁽³⁾

يدعو العرب أمتهم متسائلًا مستغربًا مستفهما عن تقاعسهم وخذلانهم؛ إذ يعرف عن العرب أنهم سلالة أهل القيم، والمروءة والشجاعة، والإقدام لا يرضون بالذل ولا بالعار، فخرج الاستفهام إلى التقرير لما يحمله في طياته من تنبيه وإرشاد.

ثامناً الاستفهام الإنكاري: هو الاستفهام عن أمر تنكره وتستهجنه، وفائدته تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيا بالجواب⁽⁴⁾، والهمزة هي أكثر أدوات الاستفهام دلالة على معنى الإنكار، ويليهما دائما المستفهم عنه سواء أكان الاستفهام لمجرد طلب الفهم أم للتقرير أم الإنكار، ويرد الاستفهام الإنكاري إلى نوعين إنكاري توبيخي على أمر قد وقع في الماضي، وإنكاري تكذيبي ويسمى أيضا بالإنكار الإبطالي، إذا كان التكذيب في الماضي.⁽⁵⁾

ومنه قول امرئ القيس:

(1) الديوان، ص19.

(2) الديوان، ص16.

(3) الديوان، ص27.

(4) شرح الحماسة، للمرزوقي، ص1169.

(5) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية، بسيوني عبد الفتاح قيود، ص402.

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ (1)

فامرؤ القيس ينكر فعل القتل على من يحاول قتله، فكيف يكون ذلك وسيفه لا يفارقه.

ومن الاستفهام الإنكاري قول الشاعر من بحر الكامل:

هل تُكْرُونَ بما كُنْتُمْ نِسْبَتِي وَأَنَا الْأَصِيلُ وَأَنْتُمْ الْغُرَبَاءُ
يا مَنْ كَتَبْتُمْ فِي الْكُتَيْبِ جُمْلَةً جَاءَتْ مُعْبِرَةً عَلَى اللَّقْطَاءِ (2)

ينكر الشاعر على الذين يشككون في نسبه وأصله رادا عليهم بأنهم الغرباء بأسلوب استفهامي انكاري التكنيبي أو الإيطالي قاصدا إبطال دعواهم؛ لأنه كذبهم وأبطل دعواهم، فالاستفهام في البيت لا يفيد معنى سوى الإنكار.

ومن الاستفهام الإنكاري من (البحر الوافر) قول الشاعر:

أَسْرَ عَدُوِّكُمْ مَا كَانَ مِنْكُمْ وَأَطْلَقَ ضَحَكَةَ الْخِيَلِ مِنْ (3)

والمعنى: لا تعتقدون أن عدوكم يرضيه تجمعكم وإنما سره تفرقكم واختلافكم، فأطلق ضحكة الخيلاء يسخر منكم فأنكر الشاعر عليهم ذلك، ولعلك تشعر بما في البيت من انكار من تجمع القمة العربية وخروجها بقرارات ضعيفة تسر عدوهم فالشاعر يستفهم عنه ولا يفصح بإثباته ووقوعه.

فالاستفهام في البيت لا يفيد سوى الإنكار، وسر جمال الاستفهام البلاغي أنه يعطى الكلام حيوية ويزيد من الاقتناع والتأثير، كما أن فيه إثارة للسامع وجذبا لانتباهه وإشراكا له في التفكير؛ ليصل بنفسه إلى الجواب دون أن يملأ عليه.

وكقوله يهجو لئيماً من البحر الوافر:

أَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى الْمَرْآةِ يَوْمًا لِيَعْرِفَ مِنْ تَكُونِ مِنَ السَّبَاعِ
وَلَكِنَّ السَّبَاعَ لَهَا خَلَقٌ وَأَنْتَ الْوَحْشُ فِي قُبْحِ الطَّبَاعِ (4)

يستفهم الشاعر في صورة هزيلة بتشبيهات مفادها الإنكار، موجها خطابها واستفهامه إلى فعل الرجل اللئيم أن أخلاقه كالسباع رغم أن هناك من السباع لها خلق أنت تفقده، على سبيل الاستفهام الإنكاري، فالاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى الإنكار.

(1) ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي. لبنان: دار الكتب العلمية، ص125.

(2) الديوان، ص81.

(3) الديوان، ص15.

(4) الديوان، من قصيدة هجاء في لئيم، ص83.

المبحث الثاني- أسلوب الأمر البلاغي:

الأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء⁽¹⁾، مع الإلزام، أو تحقيق شيء ما، مادي، أو معنوي⁽²⁾، وله أربع صيغ، فعل الأمر كقوله تعالى: [وَاصْبِرْ لِفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا]⁽³⁾، والمضارع بلا الأمر كقوله تعالى: [لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ]⁽⁴⁾، واسم فعل الأمر: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ]⁽⁵⁾، والمصدر النائب عن فعل الأمر نحو: سعيا في سبيل الخير، وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي وهو الإيجاب والإلزام⁽⁶⁾ إلى معاني أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال.

الأغراض البلاغية لأسلوب الأمر:

أولاً- الالتماس والامتنان: وهو طلب الفعل الصادر عن الأنداد والنظراء المتساوين قدرا ومنزلة، ومن خروج الأمر عن معناه الأصلي إلى الالتماس، ومنه قول قس بن ساعده:

خَلِيلِي هَبَا طَالَمَا قَدَّ رَقْدَتَا أجد كما لا تَقْضِيَانِ كِرَاكَمَا⁽⁷⁾

ومنه قول الشاعر:

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ انْهَضِي وَتَلَاحِمِي وَتَقْدَمِي دَاعِ الْفَخَارِ دَعَاكِ⁽⁸⁾

يدعو الشاعر أمة العرب إلى النهوض والتلاحم والتقدم، والفخار بأجداد الأوائل الذين قدموا للبشرية أفضل رسالة، فخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى الدعوة والامتنان.

وفي قول الشاعر من بحر الرمل:

انظُرْ بِرَبِّكَ مَا جَرَى مُتَتَبِعَا خُطْوَاتِهِمْ تَلْقَى النَّدَى يَتَلَأُ⁽⁹⁾

(1) البلاغة الواضحة، ص 179. وجواهر البلاغة، ص 86.

(2) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للسبكي. ج 1، ص 420.

(3) هود، من الآية [37].

(4) الطلاق، من الآية [7].

(5) المائدة، من الآية [105].

(6) جواهر البلاغة، ص 87.

(7) البيت لقس بن ساعدة، "من شعراء الجاهلية". خزنة الأدب، للبغدادي، ج 2، ص 77-80.

(8) الديوان، ص 14.

(9) الديوان، ص 17.

يستحلفك الشاعر النظر إلى التضحيات و البطولات التي قدمها الأبطال والذي جاء بإجلاء القواعد الأجنبية من على أرض الوطن، فالأمر هنا أتى بمعنى الفخر والامتنان.

ومنه قول الشاعر من بحر الوافر:

دَعُونِي فِي الْقِتَالِ أُمْتُ عَزِيْزَا فَمَوْتُ الْعَزِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةِ
لَعْمَرِي مَا الْفَخَاؤُ بِكَسْبِ مَالٍ وَلَا يُدْعَى الْغَنِي مِنَ السَّرَاةِ⁽¹⁾

يدعو الشاعر إلى الجهاد والقتال؛ لأن فيهما عزة وشرف خير من العيش الذليل، فيتمنى الشاعر العيش بعزة وكرامة أو الموت خير من حياة الذل والمهانة، فخرج الأمر من الاستعلاء والإلزام إلى الالتماس. ثانياً- النصح والإرشاد: وهو الطلب الذي لا تكليف ولا إلزام فيه، وإنما هو طلب يحمل بين طياته معنى النصيحة والموعظة والإرشاد.

ومنه قول الشاعر:

قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ فَارِباً بِنَفْسِكَ أَنْ تَرعى مَعَ الْهَمَلِ⁽²⁾

ومنه قوله من بحر الوافر:

بَنِي وَطَنِي رَسَالَتِكُمْ كِفَاخٌ فَشُدُّوا الْعَزْمَ وَأَقْتَحِمُوا الصِّعَابَا
وَأَعْطُوا لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ دَفْعَا بِجِيلٍ غَاظِبَا يَجْلُو الصِّبَابَا⁽³⁾

يدعو الشاعر أبناء الوطن إلى أن يشدوا العزم بجيل غاضب رسالته الكفاح من أجل نصرمة أمة الإسلام وإعلاء كلمة الله، مستعداً لاقتحام الصعاب، فالأمر هنا خرج عن معناه الأصلي إلى النصح والإرشاد؛ لأنه لا يتناقض مع الوجوب.

وفي قوله من مجزوء الرمل المجزوء الضرب:

وَأَنْظُرُوا مَا فِي الْعِرَاقِ وَاقْرَأُوا مَا فِي الْكُتُبِ
وَأَنْظُرُوا الْقُدْسَ السَّلِيْبِ وَالتَّكَالِي تَنْتَحِبِ⁽⁴⁾

يدعو الشاعر في صراخ وتأوه لحال العروبة النظر إلى ما جرى في العراق والقدس من اعتداء الأعداء عليها وما تناقلته الكتب عنها، فالأمر هنا خرج عن معناه الأصلي إلى الاعتبار.

وفي قوله من البحر الكامل:

(1) الديوان، ص31.

(2) شرح لامية العجم، لأبي البقاء العكبري، تح: محمود محمد العامودي. مج1، جامع الكتب الإسلامية، ص124.

(3) الديوان، من قصيدة: "نداء لبني وطني"، ص20.

(4) الديوان، ص22.

فَاسْتَمْسِكُوا بِاللَّهِ فَهُوَ نَصِيرُكُمْ وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ الْقَوِيِّ السَّرْمِدِ (1)

يدعو الشاعر أهل غزة الجريحة التمسك بالله والثقة في نصره، فهو القوي القادر على نصرهم على عدوهم الأبدي المغتصب لأرضهم، فالأمر في هذه الأبيات خرج عن معناه الأصلي إلى النصح والإرشاد. وقوله من بحر الوافر:

فَقُضِيَ الطَّرْفَ يَا أَخْتَاهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْيَابِ وَحْشٍ (2)

يدعو الشاعر البنات إلى الحشمة وغيض الطرف والالتزام خوفا عليهن من الوقوع فيما لا يرضاه الله ورسوله ولا العرف، والمجتمع من الفحشاء، فخرج الأمر عن معناه الأصلي للنصح والإرشاد لا للإيجاب والإلزام. ومثله قول علي الجارم:

يَا بُنَيْتِي إِنْ أُرِدْتَ آيَةَ حَسَنِ وَجَمَالاً يَزِينُ جِسْمًا وَعَقْلًا
فَانْبِذِي عَادَةَ التَّبْرِجِ نَبْذًا فَجَمَالَ النُّفُوسِ أَسْمَى وَأَعْلَى (3)

يدعو الشاعر البنات إلى التعفف والحشمة فإن آية الحسن والجمال الحقيقي لا يكن بالتبرج، وإنما بالإقلاع عنه، فجمال النفس أسمى وأعلى، فخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى النصح والإرشاد. وقوله من البحر الكامل:

يَا مَنْ يُنَادِي بِالْعَدَالَةِ لِأُمَّتِي وَيُخَوِّضُ فِي بَحْرِ مِنَ الْأَوْهَامِ
احْفَظْ حَيَاءَكَ لَا أَبَا لِكَ وَاحْتَسِبْ فَالْعَدْلُ كُلُّ الْعَدْلِ فِي الْإِسْلَامِ (4)

سخرية واستهزاء من الذين ينادون بالعدالة ويخوضون في بحر الأوهام بأن يحفظوا حياءهم فإن العدل في الدين الإسلامي فهو المشرع له والأهل له، وهي دعوة لمن يجهل الإسلام وفضائله، فالأمر هنا خرج عن معناه الأصلي إلى النصح والإرشاد. وفي قوله من بحر الكامل:

يَا عَرَبُ هُبُوا لِلْجِهَادِ فَإِنَّكُمْ مُسْتَهْدَفُونَ الْيَوْمَ أَوْ بَعْدَ الْغَدِ (5)

(1) الديوان، ص25.

(2) الديوان، ص58.

(3) ديوان علي الجارم، مؤسسة هنداوي، 2013، ص80.

(4) الديوان، ص68.

(5) الديوان، ص24.

يدعو الشاعر العرب للجهاد والاستعداد للعدو وإعداد العدة؛ لأنهم مستهدفون اليوم أو بعد الغد، فالأمر هنا خرج عن معناه الأصلي إلى الإرشاد والتحذير.

وقوله من بحر الكامل:

دَعُ عَنْكَ شَأْنَ مَعْلَمٍ مَتَقَاعِدِ وَأَنْظُرْ إِلَى جَيْلٍ جَدِيدٍ صَاعِدِ⁽¹⁾

يدعو الشاعر إلى ترك شأن المتقاعدين، والنظر إلى الأجيال الصاعدة بصقلها ورعايتها والاهتمام بها، الأمر هنا خرج عن معناه الأصلي الاستعلاء والإلزام إلى التنبيه والإرشاد.

وقوله من بحر الوافر:

دَعُوا هَذَا التَّعَصُّبَ يَا شَبَابُ فَإِنْ خِلَا فُكْمُ فَاقِ الْعِتَابَا
وما يَأْتِي يَنْفَعُ حِينَ يَسْرِي بِدَاخِلِكُمْ حَدٍ وَأَنْتَسَابَا
وإن بِلَادِكُمْ تَرْجُوا عَطَاءَ وَتَلْزَمُكُمْ بَأْنَ تَحْدُوا الصَّوَابَا⁽²⁾

يدعو الشاعر الشباب الابتعاد عن التعصب والاختلاف ونبذ الفرقة، والاتجاه نحو الصواب فهو الطريق السوي لخدمة البلاد، فالأمر هنا أتى بمعنى النصح والإرشاد.

ثالثاً- الدعاء: وهو الطلب على سبيل الاستغاثة والعون والتضرع والعتو والرحمة وما أشبه ذلك، وهو يكون بكل صيغه للأمر يخاطب بها الأدنى من هو أعلى منه منزلة وشأنا، نحو قوله تعالى: [رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ]⁽³⁾.

ومنه قوله من بحر الكامل:

أَطْفَ بِحَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُمْ وَلَوْ أَمَامَ عَدُوهِمْ وَتَفَرَّقُوا
وَأَهْلِكَ طُغَاةَ الْعَصْرِ وَامْحَقْ جَمْعَهُمْ يَتَّبِعُهُمْ جَمْعُ لَنَامِ خُنْغِ⁽⁴⁾

يدعو الشاعر الله أن يطف بحال المسلمين بعد تراجعهم وانهزامهم أمام عدوهم، وأن يهلك طغاة العصر ويمحق جمعهم؛ لأنهم هم سبب هلاك الأمة وخنوعها، فخرج الأمر هنا عن معناه الأصلي إلى الدعاء.

رابعاً- السخرية:

وفي قوله من بحر الكامل:

(1) الديوان، ص 43.

(2) الديوان، ص 46.

(3) آل عمران، الآية [193].

(4) الديوان، ص 29.

أُبشِرْ فَبَابِ الْخَيْرِ دُونَكَ مَقْفَلُ
يَبْقَى حَدِيثًا عَابِرًا لَا يُقْبَلُ⁽¹⁾

يَا مَنْ عَلَى التَّكْرِيمِ بَاتَ يُعْوَلُ
وَانظُرْ لِحَالِكَ أَيْنَ أَنْتَ فِيمَا مَضَى

يشكو الشاعر من تغافل المسؤولين عن التعليم عن المعلم وعدم تكريمه والاعتراف بفضائله، فما فعله في حقل التعليم يبقي حديثاً عابراً، وفي قوله: "أبشر" تهكم الذي ظاهره جد وباطنه هزل، فهو يسخر من أولئك المسؤولين الذين لا يهتمون بإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم، وإنه لا أمل في انتظار ذلك التكريم فهو بعيد المنال، فالأمر هنا خرج عن معناه الأصلي الطلبي إلى السخرية.

وقوله من بحر الكامل:

وأعلم بأنك جاهل لا تفهم
قد خضت فيه مبخترا تترنم
فألخبثُ فيكَ مُعَشَّشٌ ومخيم⁽²⁾

دع عنك يا هذا الذي تتوهم
وانظر لحالك أين أنت من الذي
واحفظ لسانك لا أبا لك واحتسب

الشاعر يهجو من يتجرأ على شرع الله عز وجل وينصحه بأن ينظر لحاله ويحفظ لسانه؛ لأن الخبث فيه معشش ساكن، فالشاعر هنا لا يقصد الإلزام وإنما يسخر ويتهم ويهدد، فخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى السخرية والتهكم.

خامساً - التهديد:

ومنه قوله من بحر الكامل:

واسلك طريق الخير في دنياك
وسيبقى ما جمعته لسواك
يلقيك في نار غدا تلتظاك
من عند خالقك الذي سواك
وحماك يا رب العلا رحماك
فالموت يأتي بغتة يغشاك⁽³⁾

ارفق بنفسك واتق مولاك
واعلم بأنك لا محالة هالك
واحذر من الكسب الحرام فإنه
وارض بكل مقدراتك إنها
واعمل وقل في خشيته متضرعا
وانظر لحالك وانتبه من غفلة

في الأبيات السابقة يدعو الشاعر إلى فعل الخير وإتباع طريقه، وينبه أن الحياة فانية وكل شيء فيها لا يدوم

(1) الديوان، ص35.

(2) الديوان، ص79.

(3) الديوان، من قصيدة "أرفق بنفسك"، ص44.

له حال، وأن الموت سيظال كل إنسان حي؛ لأنه يأتي غفلة، فالأمر هنا خرج عن معناه الأصلي إلى التحذير والموعظة والتهديد.

سادسًا - التمني:

وقوله من بحر الكامل:

أعطوه حافظة ليهنأ عيشه
بوسيلة مهما تكن أسبابها
وإذا بمسح الشؤم قد ألغاه
مسحته بين عشية وضحاها⁽¹⁾

يدعو الشاعر المسؤولين إعطاء الحافظة لمستحقها ليرتاح في حياته من أعبائها، لكنه ألغاه فوصفه بمسح الشؤم، فخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى التمني.

سابعًا - التسوية:

ومنه قوله من بحر الكامل:

واسأل عن الجيل الذي من بعدنا
فهم - الكذا - وأضرب على الأوتار⁽²⁾

الشاعر يخبرنا عن حاله وحال من عاش معهم، ويسأل عن الأجيال الآتية وعن أحوالهم معتقدا أن أحوالهم كحالهم، فخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى التسوية.

ثامنًا - الفخر:

ومنه قوله من البحر الكامل:

سَلْ قِرْشِيَانِ الْكَلْبِ حِينَ آتَى لَنَا
كِدْنَا نُؤْسِرُهُ وَكَادَ يَزُولُ⁽³⁾

يفخر الشاعر بقومه وما اتصفوا به من الشجاعة والإقدام مما هيا لهم فرصة أسر جريستاني الكلب والقضاء عليه، فالأمر هنا خرج عن معناه الأصلي الإلزام إلى الفخر.

وإذا تدبرت الأمثلة السابقة وتعرفت سياقها وأحطت بما يكتنفها من قرائن الأحوال، أدركت أن صيغ الأمر فيها لم تأت للدلالة على المعنى الأصلي وإنما جاءت لتقيد معان أخرى جاء بها السياق، وبهذا فإن للأمر معان مجازية، بمعنى أن الأسلوب انتقل من الدلالة على الأمر إلى إفادة تلك المعاني.

المبحث الثالث - أسلوب النداء البلاغي:

النداء: أصل النداء هو "ن دى" فهو مشتق من الندي أي البلبل والرطوبة، قال ابن فارس: "هو طلب المتكلم

(1) الديوان، ص 82.

(2) الديوان، ص 38.

(3) الديوان، ص 61.

إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب⁽¹⁾ "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمانية هي: الهمزة وأي للنداء القريب، ويا، وآ، وأيا، وهيا، ووا لنداء البعيد، وقد ينزل البعيد منزلة القريب، وقد ينزل القريب منزلة البعيد.

الأغراض البلاغية لأسلوب النداء:

قد يَخْرُجُ النَّدَاءُ عَنِ الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ، فَلَا يَكُونُ لَطَلَبِ الْإِقْبَالِ، فَيُنَادِي مَنْ لَا يَعْقِلُ مِنَ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ وَالْبَحْرِ وَنَحْوِهِ، وَقَدْ لَا يَتَوَجَّهُ النَّدَاءُ إِلَى مُخَاطَبٍ أَصْلًا، وَذَلِكَ فِي حَالِ مُنَاجَاةِ النَّفْسِ وَتَأْنِيهِ الضَّمِيرِ.
أولاً- الإغراء:

ومن النداء الذي يأتي بمعنى الإغراء قول الشاعر من الوافر:

فَهُبُوا لِلْجِهَادِ فَفِيهِ عِزٌّ حَيَاةَ الذُّلِّ يَا عَرَبُ سَمِيمًا⁽²⁾

بمناسبة قمة العرب يدعو الشاعر الحكام العرب والشعوب العربية للجهاد ففيه عز وفخار؛ لأننا سئمنا من حياة الذل والمهانة، فخرج النداء عن معناه الأصلي وهو طلب الإقبال إلى الإغراء.
ومنه قوله من الكامل:

يا أمة العرب انهضي وتلاحمي وتقدمي داع الفخار دعائك⁽³⁾

يدعو الشاعر أمة العرب إلى النهوض من غفلتها وأن تتلاحم وتتقدم افتخارا بالأمجاد التي قدمتها لبيبا، فخرج النداء عن معناه الأصلي وهو طلب الإقبال إلى الإغراء.
ومنه قوله من بحر الكامل:

يا عَرَبُ هُبُوا لِلْجِهَادِ فَإِنَّكُمْ مُسْتَهْدَفُونَ الْيَوْمَ، أَوْ بَعْدَ الْغَدِ⁽⁴⁾

الشاعر يحث العرب على الجهاد حتى لا يستهدفهم العدو بغتة؛ لأنهم مستهدفون منه اليوم أو بعد غد، فننادى البعيد بنداء القريب، وأراد أن يبين أن المنادى على الرغم من بعده قريب من قلبه مستحضر في ذهنه؛ ولأن قضيتهم واحدة، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى الإغراء.
وقال من الكامل:

يا ابن العراق كَتَبْتَ فخرًا بالدم سَيَظِلُّ لِلْأَجْيَالِ خَيْرَ مُعَلِّمِ

(1) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ص410.

(2) الديوان، ص16.

(3) الديوان، ص14.

(4) الديوان، ص24.

ودخلت في التاريخ من أبوابه وصَفَّتْ وَجَهَ الغاصِبِ المتوهم⁽¹⁾

يفتخر الشاعر بابن العراق الذي قدم دمه رخيصة نصرته لوطنه، وسيظل هذا للأجيال القادمة خير معلم وخير منارة، فنادى البعيد مناداة القريب لمكانته في قلبه، وهذه لطيفة بلاغية تسوغ استعمال الياء في النداء البعيد، فخرج النداء إلى الإغراء.
وقوله من الكامل:

يا مُسلمون تَنبَهُوا واستيقظوا فَمَصِيرِكُمْ لا شَكَّ فيه بمظلم
هذا قطارُ الموتِ جاء لِسَحَقِكُمْ وبداية هذى العراق كمقدم
عن هيئة الأمم العجوز فلا تسأل وأميينها ذاك الغراب الأسحم⁽²⁾

ينبه الشاعر المسلمين عامة العرب خاصة، ويدعوهم إلى الاستيقاظ؛ لأن مصيرهم مصير مظلم، أن قطار الموت جاء لسحقهم وما الحرب على العراق إلا بداية الحرب الشاملة على أمة العرب، فنزل البعيد منزلة القريب إشارة إلى قربه من القلب وحضوره في الذهن، ولا يغيب عن البال؛ لأن قضيتهم قضية واحدة، فخرج النداء إلى الإغراء.

ومنه قوله في رثاء صدام حسين من الكامل:

أعراق اسمك في الفؤاد متوج وعلى اللسان قصيدة الشعراء
أعراق هز البأس سيفك فاستقم واجمع صفوفك دونما شحناء⁽³⁾

يدعو الشاعر أهل العراق إلى الاستقامة وجمع الصفوف، والابتعاد عن الشحناء ليرجع اسم العراق عاليًا مهابة يتغنى به الشعراء، فنزل البعيد منزلة القريب فناده بالألف وهي لنداء القريب إشارة لشدة استحضاره في ذهنه وما قاساه العراق من الحرب وخراب واستشهاد قائده، فالنداء خرج عن معناه الأصلي إلى الإغراء.

ثانيًا - التذکر والتنبیه والتعجب:

ومنه قوله من المتقارب:

ألا أيها العرب يا أمّتي أَلستم سُلالة أهل القيم⁽⁴⁾

يخاطب الشاعر أمته متسائلًا مستغربًا عن حال خنوعهم ورضاهم عن الذل والهون وهم أهل القيم، فنزل

(1) الديوان، ص 26.

(2) الديوان، ص 26.

(3) الديوان، ص 54.

(4) الديوان، ص 27.

المخاطب القريب منزلة البعيد في قوله "أيها" إشارة لغفلته وشروذ ذهنه كأنه غير مدرك لمكانة العرب وأصالتهم وقيادتهم للعالم أبان قوتهم وترابط صفوفهم وما يحملونه من صفات بها قادوا العالم، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى التكرار والتنبيه والتعجب.

ثالثاً - الحكمة والموعظة:

ومنه قوله من الكامل:

يا عمرو لو كُنْتُ الْحَكِيمُ لَقَلْتُ لَا وَلَمَّا رَضِيَتْ بِفِعْلٍ مِنْ يَتَهَكَّمُ⁽¹⁾

يدعو الشاعر إلى الحكمة والموعظة، وعدم الرضى بفعل من يتهكم بالعباد غرورا بنفسه، فالنداء خرج عن معناه الأصلي طلب الإقبال إلى الحكمة والموعظة.

رابعاً - التحسر والتوجع:

ومنه قوله من الكامل:

يا أخوة الإيمان جال بخاطري خَطْبُ الْفَقِيدِ فَهَزَ مِنْي مَشَاعِرِي⁽²⁾

يرثي الشاعر صديقه متحدثاً عما أصاب مشاعره وما أصاب مشاعره بفقدانه وقرب منزلته منه، فنزل القريب منزلة البعيد فناده بالياء إشارة إلى علو مرتبته وقربه منه، والنداء هنا عن معناه الأصلي إلى التحسر والتوجع.

ومنه قوله من الكامل:

يا سَائِلاً عَنِّي وَعَنْ أَخْبَارِي أَعْلِمُكَ أَنِّي مُقْعَدٌ فِي الدَّارِ⁽³⁾

الشاعر يخبر السائل عنه أنه في داره مقعد لا يخرج، نزل البعيد منزلة القريب لغفلته وشروذ ذهنه، كأنه غير حاضر، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى التحسر والتوجع.

خامساً - الاستغاثة:

قال الشاعر من الكامل:

يا مَنْ عَلَيْهِ الْإِتِّكَالُ مَعُونَتُكَ وَأَنَا الضَّعِيفُ وَأَنْتَ خَيْرُ نَصِيرِ⁽⁴⁾

(1) الديوان، ص 31.

(2) الديوان، ص 52.

(3) الديوان، ص 37.

(4) الديوان، ص 41.

الشاعر يناجي ربه ويدعوه فعليه الاتكال والمعونة، فهو يظهر تحسره وشكواه، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى التضرع والاستغاثة.

سادسًا - التفاخر:

وقوله من الطويل:

فيا أيها المبروك لست مبالغا وأقسم أن الشيء فيك مجرب

وإنك يا مبروك صرت نموذجاً لمن كان شبها في الحياة يُدب (1)

يخاطب الشاعر نفسه بأنه ليس مبالغا فيما قاله من تجارب الحياة، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى التفاخر. منه قوله من الكامل:

يا من بكم تبنى الشعوب حضارة وبكم يخلدُها الزمان ويسعد

إن المعلم فضله وعطاءه عم الوجود حقيقة لا تُجحد (2)

يذكر الشاعر المعلم ويعدد فضله وعطاءه على الوجود التي لا تجدد فهو صفوة وشمعة تتوقد، تعطي الضياء للبشرية، وعطاؤه لا يتوقف، فنادى القريب مناداة البعيد لعلو مرتبته وعظيم شأنه في الناس، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى الاختصاص والتفاخر.

سابعًا - الزجر:

وقوله من الوافر:

فصرثم يا دعاة الحرب شرع لي كل الوري بالاتفاق

فهل بعد العراق يكون آمنا ويهنأ بال مفروق الوراق (3)

يخاطب الشاعر دعاة الحرب والهلاك بأنهم صاروا شرًا على البشر، وبعد الاعتداء على العراق يكون هناك أمن ويهنأ العالم، فقد نزل القريب منزلة البعيد إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى الزجر.

ومن قوله من الكامل:

يا شعر لا تعبث بقلبي والتزم وأنا الذي أفنى الزمان سرائري (4)

يدعو الشاعر الشعر وكأنه إنسان ألا يعبت بقلبه ويلتزم فالزمان أفنى سرائره، فناده مناداة البعيد إشارة لغفلته وشروذ ذهنه، فالنداء خرج عن معناه الأصلي إلى الزجر.

(1) الديوان، ص 45.

(2) الديوان، ص 69.

(3) الديوان، ص 28.

(4) الديوان، ص 57.

ومنه قوله من الكامل:

يا مَنْ يُنادي بالعدالةِ لأمتي وَيُخوض في بحر من الأوهام⁽¹⁾

يدعو الشاعر من يجهل دين الإسلام وفضائله أن دين الإسلام دين العدالة والسماحة أتى بكل فضيلة للعالمين، وكرامة الإنسان في الدستور نزل في القرآن الكريم، ويشهد له القاضي والداني، فنزل المنادى منزلة البعيد إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته، وخرج النداء إلى الزجر.

ومنه قوله من الكامل:

يا طُغمةَ الشيطانِ كُفوا خُبْنَكُمْ فالخبثُ في أحشائكم يتوقدُ⁽²⁾

يدافع الشاعر عن النبي صلى الله عليه وسلم، عندما تعرض شخصه الكريم لصحافة الدنمرك اللعينة وتطولهم على رسولنا الكريم، بأن محمدا خير الورى يا طغمة الشيطان، فنادى القريب مناداة البعيد إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى الزجر.

ومنه قوله من الكامل:

يا أيُّها المغرورُ أقصرْ وانتبه إنَّ الخليفةَ فيك صارتْ تشتمُ⁽³⁾

الشاعر يريد بالنداء زجر من يتجراً على شرع الله - عز وجل - يزجره وينبه إن الخلائق تشتمك على ما اقترفه لسانك من تقاهة على شرع الله فالمرء أفته لسانه، وبه يقضى على الخلق الحميد، فنادى القريب مناداة البعيد إشارة إلى انحطاط منزلته وسخافة فعله، فالنداء خرج عن معناه الأصلي إلى الزجر.

وقوله من البسيط:

يا مُستفيدون كُفوا عن تلاعبكم والصدْرُ ضاقَ بما فيه من الكذب
خَلُّوا دِراهمَ هذا الشعبِ تُصلحهُ لا تتلّفوها بفعلِ اللهِ والطربِ
صِرْتُمْ طُغاةَ وكان البغيُّ شيمتكم في طيشِ عقلٍ من الدولارِ والذهبِ⁽⁴⁾

فهو يريد بالنداء زجر من يعبثون بأموال الشعب ويحسبون أنهم أمناء، كفوا عن تلاعبكم فصدورنا ضاقت من

(1) الديوان من قصيدة "فخر بدين الإسلام والعروبة"، ص 68.

(2) الديوان، من قصيدة "دفاع عن -النبي صلى الله عليه وسلم-"، ص 72.

(3) الديوان، ص 80.

(4) الديوان، ص 80.

كذبكم، فقد صرتم طغاة لا تقبلون، فنزل القريب منزلة البعيد إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى الزجر.

تاسعًا - التذکر والعرفان الامتتان:

ومنه قول الشاعر من الكامل:

يا فاطمة لا أدري أي عبارة أثنى عليك وأنت بين نواظري
هل تقبلين فتاة شعر صنعته والشعرُ يشفي كل قلب حائر⁽¹⁾

يمدح الشاعر حبيبته بأن أبيات شعره فتاة ضئيلة مع قيمتك ومكانتك ومع هذا فالشعر تعبير يشفي القلب الحائر، فنزل القريب منزلة البعيد إشارة لعلو مرتبته واستحضاره في القلب والذهن وعظيم مكانته فناداها بنداء البعيد الياء، والنداء خرج عن معناه إلى التذکر والعرفان والامتتان.

ومن هنا نؤكد أن أسلوب النداء يأتي مفيدًا لمعاني كثيرة تفهم من السياق وقرائن أحواله.

(1) الديوان، من قصيدة "فتقبلي مني السلام مودعا"، ص56.

الخاتمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد نخلص من خلال دراستي لشعر الشاعر المبروك النفوح، وهو من الشعراء المعاصرين إلى عدة نتائج أهمها:

- 1- أن الشاعر يملك ذوق بلاغي رفيع.
- 2- أن ديوانه مليء بالشواهد البلاغية.
- 3- اتساع ثقافته وموهبته الشعرية، وإطلاعه على كثير من الثقافات العالمية والإنسانية.
- 4- يتميز شعره بالوطنية والانحياز للقضايا العربية والإسلامية، وبخاصة القضية الفلسطينية والعراقية.
- 5- كثرة الأساليب الإنشائية وتنوعها يدل على اكتساب الشاعر الأداة التعبيرية الفنية جعلت شعره يتسم بالجودة والروعة والجمال.

6- الشاعر خاض الحياة، وعبر عنها أحسن تعبير بألفاظ سهلة سلسة بعيدة التكلف والرصانة، وكانت معانيه سهلة قريبة من المتلقي.

وفي النهاية الشاعر خاض تجربة شعرية عبر فيها عن أحاسيسه ومشاعره الصادقة الجياشة، فكانت ألفاظه معبرة قوية ذات معاني هادفة.

ويوصي الباحث الدارسين والباحثين الاهتمام بدواوين الشعراء المعاصرين، والغوص في معاني أعمالهم وآثارهم الشعرية، وتفسير الظواهر النقدية، واستخراج الصور البلاغية ليستفيد منها طلاب العلم والباحثون.

هذا جهد أقدمه للقارئ فإن وفقت فهو من عند الله - سبحانه وتعالى- وإن كان غير ذلك فمن النفس ووساوس الشيطان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 1- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي. - تح: عصام الجرستاني، بيروت: دار الجبل، (د.ت).
 - 2- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي. - بيروت: الدار الشامية، 1996م.
 - 3- البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين. القاهرة: دار المعارف، (د.ت).
 - 4- التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. - حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.
 - 5- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون. ط2، بيروت: دار الفكر، (د.ت).
 - 6- جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، وأبو بكر محمد بن الحسن. - تح: رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، 1987م.
 - 7- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي. ط2، تح: محمد التونجي، بيروت: مؤسسة المعارف، 2004م.
 - 8- خزنة الأدب، عبد القادر البغدادي. ط3، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، 1979م.
 - 9- دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة (عبد القاهر الجرجاني)، عبد الهادي العدل. بيروت: دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، (د.ت).
 - 10- دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، محمد أبو موسى. - القاهرة: دار المعلم، 1979م.
 - 11- ديوان البحري، شرح يوسف الشيخ محمد. - بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.
 - 12- ديوان أبي الطيب المتنبّي، شرح أبي البقاء العكبري البغدادي. بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).
 - 13- ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م.
 - 14- ديوان جرير بن عطية، شرح حمدو طماس. بيروت: دار المعرفة، 2003م.
 - 15- ديوان علي الجارم. القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2013م.
 - 16- سنن أبو داود، أبي سليمان الأشعث. تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، (د.ت).
 - 17- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي. - نشرها أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف، 1951م.
 - 18- شرح لامية العجم لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تح: محمود محمد العامودي، مج10.

- 19- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح قيود. ط4، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2015م.
- 20- علم المعاني، عبد العزيز عتيق.- القاهرة: دار الآفاق العربية، 2004م.
- 21- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لسبكي.- تح: عبد الحميد هندراوي، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2003م.
- 22- لسان العرب، لابن منظور. ط3، بيروت: دار صادر، (د.ت).
- 23- مفتاح العلوم، للسكاكي. ط2، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.
- 24- مقاييس اللغة لابن فارس، أحمد بن زكرياء بن فارس القزويني.- تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، 1979م.
- 25- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي.- إيران: ادب الحوزة، (د.ت).